



## وقفات مع بعض المستشرقين في دراستهم للسيرة النبوية

د. محمد مصطفى محمد صالح

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة

**ملخص البحث :**

هناك عوامل عديدة شكّلت اتجاهات المستشرقين تجاه النبي ﷺ ، ولعل النقطة الجوهرية في نظرة المستشرقين نحو النبي ﷺ أن الإسلام مأخوذ من ديانات سابقة تأثر بها نبي الإسلام خاصة اليهودية والنصرانية. والكثيرون من المستشرقين يرون في رسول الإسلام ﷺ مصلاً اجتماعياً ، ولا يعتبرونه نبياً ورسولاً مرسلًا من عند الله. ولعل أطرف الآراء التي ساقها بعض المستشرقين ما ذهب إليه جورج بوش "الجد" الذي رأى أن محمداً ﷺ رسول ونبي اختارته العناية الإلهية عقوبةً للكنيسة التي انحرفت عن مسارها الصحيح. والمقال يقف عند هذه الآراء المختلفة للمستشرقين ، ويعالجها بالعرض والشرح والنقد.

**Abstract**

Many factors played a significant role in shaping the attitudes of orientalists towards the Prophet of Islam. The most important point in the orientalist studies about the Prophet of Islam is that Muhammad was a founder of a religion that composed of Judaism, Christianity, and even pagan religions of the ancient world. Many of the orientalists who deal with the studies of Islam and the Prophet consider Mohammad (PBUH) as a reformer and not as a messenger from God to humankind. Many other orientalists regard him as a minor prophet for the Arabs only. The paper tries to shed light on the unique opinion of George Bush about Mohammad, for he considers Mohammad as a true prophet and messenger from God to humankind but God sent him as a punishment for the deviated Christian Church. It is of significance to state that the studies of Islam in the west have been based mostly on various prejudices and calumnies. The main aim of this paper is to shed light on such an important issue.

## مقدمة :

يرمي هذا المقال إلى الوقوف عند الطريقة التي تعامل بها بعض المستشرقين مع السيرة النبوية؛ وذلك بغرض تجلية دوافعهم ونزعاتهم تجاه سيرة نبي الإسلام. لقد اتسم التعامل الاستشراقي مع الإسلام بصورة عامة، ومع سيرة النبي ﷺ بصورة خاصة بسماة معينة لا بد من دراستها وفهمها. إن الدارس للمستشرقين يجد تشابهاً كبيراً بينهم وهم يتعاملون مع الدراسات الإسلامية وكأنهم يصدرون من مصدر واحد، وينهلون من معين واحد. وتاريخ الاستشراق يعود إلى حقبة مبكرة؛ فمنذ أن شعر أهل الكتاب بخطورة الإسلام عليهم شرعوا في دراسته ومحاولة فهمه، وحاولوا من جهة أخرى تشويه صورته، والزعم بأنه تكرر لمقولات أهل الكتاب القديم. لقد أسهمت كتابات المستشرقين عن نبي الإسلام في تشكيل النظرة الغربية للإسلام، وللقرآن الكريم، وللنبي ﷺ، وللمسلمين، ولحضارتهم، ولثقافتهم. وتحاول الورقة اتباع منهج تحليلي للنصوص التي ساقها بعض المستشرقين وهم يدرسون السيرة النبوية.

## مفهوم الاستشراق ومعناه :

يكاد الدارسون يتفقون على أن الاستشراق يعني ” دراسة الشرق ولغاته وآدابه وأديانه “، وهذه الدراسة يقوم بها طائفة من الغربيين الذين عايشوا الشرق، واهتموا بترائه. وبالطبع كان الإسلام من أكبر الظواهر التي استرعت انتباه الغربيين؛ ومن ثم اهتم عدد كبير من علماءهم بدراسة الإسلام من كل جوانبه، وجاءت دراساتهم للإسلام وما يتصل به متباينة في مناهجها وطرائقها؛ فمنهم من أنصف، واستفاد، وأفاد، وخدم التراث الإسلامي خدمات جليلة، وهؤلاء هم قلة من الأكاديميين المنصفين الذين تجردوا من كثير من أهوائهم الدينية والسياسية والاستعمارية. ومنهم - وهم الأغلبية - من كان مندفعاً بمجموعة من الدوافع والبواعث الاستعمارية، والتنصيرية، والعنصرية، والقومية، وهؤلاء هم الذين جاءت دراساتهم عن الإسلام مشوبة بالكثير من النقائص والعيوب.<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> إدوارد سعيد، الاستشراق، نقله إلى العربية كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠٣، ص ٨٠.

## جذور الاستشراق وتاريخه :

ذهب بعض الدارسين إلى أن الاستشراق بدأ منذ أن استقبل الرسول ﷺ مجموعة من قساوسة نجران ورهبانها في مسجده بالمدينة. وذهب آخرون إلى ربط ظاهرة الاستشراق بالعالم اللاهوتي النصراني " يوحنا الدمشقي " John of Damascus الذي كان من أبرز اللاهوتيين النصارى على العهد الأموي. وربط آخرون ظاهرة الاستشراق بحركة الترجمة التي قادها نفرٌ من الرهبان الذين قامت على أكتافهم " الحركة الديرية " التي ازدهرت في أوروبا في العصور الوسطى.<sup>(١)</sup> ومعلوم أن أولئك الرهبان قد قاموا بدور كبير في ترجمة العلوم المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية في تلك الآونة. وبما أن الحركة التاريخية تتصل حلقاتها فإننا لانتبعد أن تكون تلك الإسهامات المبكرة منذ يوحنا الدمشقي ومن سبقه ، وأن تكون تلك الترجمات الأولى التي نشأت في أحضان الأديرة قد لفتت انتباه المؤسسات الدينية والعلمية الأوربية في العصور الوسطى لتتجه لدراسات الإسلام والمسلمين. ولعل النص المأخوذ من إدوارد سعيد يجمع بين تاريخ الاستشراق ومفهومه : " الاستشراق ، بتحديد دقيق ، ميدانٌ من ميادين الدراسة المتفحمة. وفي الغرب المسيحي يؤرَّخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م بتأسيس عددٍ من كراسي الأستاذية في " العربية " و " اليونانية " و " العبرية " و " السريانية " في جامعات باريس ، وأكسفورد ، وبولونيا ، وأفينيون ، وسلامانكا " .<sup>(٢)</sup>

من هنا نفهم أنّ الحركة الاستشراقية قد نشأت في ظروف دينية وفكرية وسياسية جعلتها تكتسب سماتٍ معينةً ظهرت عند الأكثرية الغالبة من المستشرقين. وكانت الدراسات الاستشراقية إلى عهود قريبة جداً لا تجد من يقف أمامها من الدارسين المسلمين ، بل إنّ المستشرق يقول ما يريد حول الإسلام ، ويعتبر نفسه حجة ومرجعية أكاديمية علمية لا معقّب لقوله. والسبب أن الغالبية العظمى من الباحثين المسلمين قد تتلمذوا على أيدي هؤلاء المستشرقين في الجامعات الغربية. غير أن الآونة الأخيرة شهدت ظهور عدد من الدارسين العرب والمسلمين الذين أصبحوا يمتلكون رؤيةً نقديةً ، ويستصحبون منهجية علمية

(١) انظر نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، الجزء الأول ، ص ٤٥ .

(٢) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، مصدر سابق ، ص ١١٠ .

صارمة ، ويشعرون بنوع من الاستقلالية ، وهذا كله مكنهم من محاولة التصدي النقدي لمساعي المستشرقين.<sup>(٤)</sup> ونشير هنا إشارة سريعة إلى أمثلة من باحثين مسلمين تمكنوا من فهم الظاهرة الاستشراقية بسبب ما امتلكوا من أدوات ، ومن منهجية علمية ، ومن معرفة بلغات الغرب الأمر الذي مكنهم من نقد بعض أعمال المستشرقين. ولعل من أبرز أولئك أبو الحسن الندوي من خلال كتابه ” الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين “<sup>(٥)</sup> ، وجعفر شيخ إدريس من خلال تتبعه العميق لدراسة وليم مونتغمري واط. W. Montgomery. Watt عن السيرة النبوية في كتابه المشهور ” محمد في مكة “<sup>(٦)</sup>.

### الطريقة الاستشراقية في التعامل مع السيرة النبوية :

يتسم التناول الاستشراقي للسيرة النبوية بمجموعة من السمات التي نحاول إبرازها في النقاط التالية :

(١) يتسم الطرح الاستشراقي عن الإسلام عامة ، وعن النبي ﷺ خاصة بأنه طرح مادي يستبعد ظاهرة الوحي ، وهي الظاهرة المحورية التي يقوم عليها الإسلام ، وتقوم عليها الأديان السماوية الأخرى. والمنصفون من هؤلاء المستشرقين لا يتجاوزون وصف النبي ﷺ بالذكاء والعبقريّة التي يرون أنها مكنته من حلّ مشاكل العرب عبر ثورة إصلاحية عامة وجذرية. ويحاول الكثيرون منهم تفسير ” الوحي “ وفق مبادئ علم النفس المختص بالأمراض ، ويقارنون بين ما حدث للنبي ﷺ من معاناة الوحي وبين الأعراض المرضية النفسية التي تحدث للكثيرين من العرّافين والسحرة ، ومن الذين يعانون أعراض ” العصاب “ وسائر الأمراض النفسية. ومن أبرز

(٤) انظر الدكتور جعفر شيخ إدريس ، منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد ﷺ ، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الجزء الأول ، ١٩٨٥م ، ص ص ٢٠٥ - ٢٤٧.

(٥) أبو الحسن علي الحسن الندي ، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين - تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١١ وما بعدها.

(٦) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Oxford and Clarendon Press, 1953, p. 104.

المستشرقين الذين وقفوا مع ظاهرة ” الوحي “ بالتحليل والدراسة العميقة المستشرق السويدي ” تور أندري “ Tor Andrae في كتابه ” محمد ﷺ الرجل والعقيدة “ Mohammed, The Man and His Faith حيث قام بوصف الوحي المحمّدي ، وحاول تحليله ونقده وفقاً لمعطيات علم النفس التي وصل إليها هذا العلم في الثلاثينات من القرن العشرين. ومن الطريف أن أندري قد قسّم ” الوحي “ إلى نوعين : الوحي المسموع ، والوحي المشاهد ، وألحق الوحي المحمدي بالنوع الأول ، وهو الوحي المسموع؛ وذلك لأنه زعم أن محمداً ﷺ تلقى ذلك الكلام الموحى به إليه من خلال سماعه لصوت الملاك جبريل.<sup>(٧)</sup> ومن أبرز الأمور التي يؤكّد عليها بعض المستشرقين أن الوحي الذي شاهده محمد ﷺ واستمع إليه في غار حراء كان رؤيا منامية ، ونجد ذلك واضحاً عند ” تور أندري “ حيث يذكر نقلاً عن ابن إسحاق مجيء جبريل إلى النبي ﷺ في غار حراء ذات ليلة ، ويورد ما شاع بين علماء السيرة من أن جبريل ﷺ طلب منه أن يقرأ ، وهو يقول له : ما أنا بقارئ ، ويتكرر طلب جبريل ، ويتكرر ردّ محمد ﷺ ، وفي نهاية المشهد يلقنه جبريل الآيات الأولى من سورة العلق ، ثم يورد ” تور أندري “ قول محمد ﷺ : ” ثم استيقظت من نومي “. <sup>(٨)</sup> والشاهد أن ” أندري “ يرى أن هذا الأمر كان مناماً. ونود أن نشير هنا إلى أن بدء الوحي كان في صورة الرؤيا المنامية الصادقة ، وهذا ما حكته عائشة رضي الله عنها في باب كيف بدء الوحي ، وهو موجود في صحيح الإمام البخاري.<sup>(٩)</sup> كما أن الرواية التي ساقها ” أندري “ عن ابن إسحاق رواية صحيحة حيث قال ابن إسحاق : ” ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي “ ، وهذا بالضبط ما ذكره القاضي عياض في الشفاء

<sup>(٧)</sup> Tor Andrae, Mohammed – The Man and His Faith, Translated by Theophil Menzel, London, George Allen and Unwin LTD – Ruskin House Museum Street, Second Impression, 1959, p. 43.

<sup>(٨)</sup> Ibid, p.44

<sup>(٩)</sup> محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧م ، ج ٤ ، ص ١٨٩٤ ، حديث رقم ٤٦٧٠ .

حيث قال : ” فجاءني وأنا نائم “<sup>(١٠)</sup> ، وأورده صاحب الروض الأنف حيث قال : ” وهببت من نومي “ ، وأورده كذلك صاحب السيرة الحلبية حيث ذكر : ” ثم هببت من نومي “<sup>(١١)</sup> والمصادر الإسلامية تتحدث عن مراحل متعددة في طريقة نزول الوحي على النبي ﷺ ، وتتحدث عن أنواع عديدة من كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ. وحديث الحارث بن هشام في صحيح البخاري يؤيد ذلك. ومن هنا فلا تناقض بين صور الوحي التي تنزل على رسول الله ﷺ. غير أن المستشرقين يجدون هذا التناقض ، ويعانون من هذا الإشكال ، وهذا ما ذهب إليه ” تور أندري “ في كتابه حيث وجد شيئاً من التناقض بين رواية ابن إسحاق عن بدء الوحي ، وبين رواية ابن سعد في ” الطبقات “ ؛ فرواية ابن إسحاق بحسب ” أندري “ رواية لحدث ليلي ، بينما وجد ” أندري “ أن رواية ابن سعد تمثل رواية لحدث نهاري.<sup>(١٢)</sup> ورأى المستشرق ” تور أندري “ أن هاتين الروايتين لا يمكن أن تكونا كلاهما صحيحتين على حد تعبيره. ويجدر بنا هنا أن نسوق النص من الترجمة الإنجليزية لكتاب ” أندري “ حيث يقول :

In the earliest of our authorities, Ibn Ishak (d.768), the story of Mohammed's call reads : “ In the year that Mohammed was called to be a prophet he went to Mt. Hira with his family in the month of Ramadan in order to devote himself to solitary religious exercises. “ One night ” the Prophet states, “ Gabriel came to me with a cloth as I slept and said : Recite! I answered : I cannot recite! So he choked me with the cloth until I believed that I should die. Then he released me and said : Recite (iqra)! ” The Prophet hesitated, and twice again the angel repeated the harsh treatment. Then finally Mohammed asked : “ What shall I recite? ” The angel said : Recite thou, in the name of the Lord who created-

<sup>(١٠)</sup> القاضي عياض اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

<sup>(١١)</sup> علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ج ١ ، ص ٣٨٥

<sup>(١٢)</sup> محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

Who created man from clots of blood. Recite thou! For thy Lord is the most beneficent, who hath taught the use of the pen- hath taught man what he knoweth not [Sura 96, 1-4]. "I awoke," said Mohammed, " from my sleep, and it was as if they had written a message in my heart. I went out of the cave, and while I was on the mountain, I heard a voice saying : O Mohammed, thou art Allah's Apostle, and Iam Gabriel! I looked up and saw Gabriel in the form of a man with crossed legs at the horizon of heaven. I remained standing and observed him, and moved neither backwards nor forwards. And when I turned my gaze from him, I continued to see him on the horizon, no matter where I turned." Finally the vision vanished, and Mohammed returned to his family".<sup>(١٣)</sup>

ويمضي " أندري " إلى مقارنة حالة النبي ﷺ وهو يتلقى الوحي مع العديد من الحالات التي يقول أصحابها إنهم يتلقون وحياً سماًوياً ، ويذهب إلى القول إن محمداً ﷺ هو الوحيد من بين هؤلاء الذي استطاع أن يدون الكلام الذي سمعه وهو في تلك الحالة ، ويقصد بذلك " القرآن الكريم ".<sup>(١٤)</sup> وليس " تور أندري " وحده من ذهب هذا المذهب ، بل إن آخرين من كبار المستشرقين من نحى هذا المنحى ، ولعل من أبرزهم المستشرق المجري " إجناس جولدزيهر " Ignaz Goldziher.<sup>(١٥)</sup> كما برز هذا الاتجاه بصورة واضحة عند المستشرق " مونغمري واط " من خلال كتابه الشهير " محمد في مكة " Muhammed at Mecca حيث حاول " واط " أن يظهر بمظهر الحياد العلمي لكنه لم يستطع أن يخفي تحامله على الرسالة المحمدية ، ونلمس ذلك بوضوح عند حكمه بصدق النبي ﷺ فيما يراه ويقول عن ظاهرة " الوحي " غير أنه لا يحكم بصحة ما يراه ويقول ، وكأنه يريد القول إن ما يراه محمد ﷺ لا يعدو الخيالات المرضية<sup>(١٦)</sup> ، وهو لا يتعد كثيراً عن تفسير " تور أندري " الذي

<sup>(١٣)</sup> T. Andrae, op.cit, pp.43-44.

<sup>(١٤)</sup> Ibid, p. 48.

<sup>(١٥)</sup> انظر إجناس جولدزيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٦ .

<sup>(١٦)</sup> انظر جعفر شيخ إدريس ، مصدر سابق ، ص ٢١١ .



مرّ بنا. ونحاول هنا تفسير هذه المادّة الطاغية التي عانى منها أولئك المستشرقون وهم يحاولون تفسير ظاهرة الوحي المحمدي برغم أنهم - في الغالب - يدعون الإيمان بالمسيحية أو باليهودية ، ويعترفون بالوحي بالنسبة لموسى وعيسى عليهما السلام ، ولكنهم - مع ذلك - يجدون إشكالات كبيرة تحول بينهم وبين إثبات الوحي المحمدي. هل التعصب هو الذي يحول بينهم وبين إثبات الوحي لنبي الإسلام ﷺ؟ أم أن عوامل أخرى تدفعهم إلى ذلك دفعا؟ ليس من المستغرب أن ينظر المستشرقون إلى السيرة النبوية وفق المنهج المادي البحت إذ أن الفكر الغربي بعامة قد وقف من الدين موقفاً عدائياً عقب الصراع المرير الذي خاضه الفكر الأوربي في عصوره الوسيطة مع الكنيسة ، ووصل الفكر الأوربي إلى حالة عقلية ونفسية وشعورية جعلته يرفض الدين ، ويرفض مقولات الميتافيزيقا ، ويجاول الوقوف عند حدود المنهج التجريبي الذي أصبح يعني " العلم " ويرادفه. ومن ثم رفض الغربيون جميع المناهج الأخرى ، واعتبروها غير علمية ، ورفضوا المقولات التي ترى أن " الدين " نزل من السماء ، واعتبروه نتاجاً للعقل الجمعي الإنساني حيث حكموا على " الدين " و " الإله " بأنها نتاج لهذا العقل الجمعي البشري. لقد ترددت هذه المقولة بوضوح وصراحة عند الرعيل الأول من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا من أمثال " إميل دوركايم " وغيره. ومن هنا نستطيع القول إن عوامل عديدة تضافرت ، وجعلت الكثيرين من المستشرقين يتخذون موقفاً نفسياً معادياً من نبي الإسلام ، ومن " الوحي " الذي تلقاه محمد ﷺ من ربه.<sup>(١٧)</sup>

(٢) أما السمة الثانية التي وسمت التناول الاستشراقي للسيرة النبوية فهي قضية المصادر التي أخذ منها محمد ﷺ دينه الذي خرج به على قومه وعلى العالم. وبالطبع فإن هذه المقولة تتوافق مع النقطة الأولى المتمثلة في إنكار الوحي؛ فطالما أن الوحي ليس بصحيح عندهم فلا بد من البحث عن مصادر لهذا الدين. لقد وجد المستشرقون أنفسهم أمام معضلة كبيرة؛ فهم لا يقرّون لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة ، ولا يعترفون له بالوحي السماوي الذي يمدّه بالمعلومات عن عالم الغيب ، وهم - مع ذلك - يرون تعاليمه العقائدية والتشريعية أمام أعينهم تشابه كثيراً من المعلومات والتشريعات والعقائد التي يجدونها في كتب أهل الديانات السابقة من يهودية ونصرانية.<sup>(١٨)</sup> ومن هنا

<sup>(١٧)</sup> انظر الدكتور عبدالله الخريجي ، علم الاجتماع الديني ، الطبعة الثانية ، السعودية ، جدة ، ١٩٩٠م ، ص ٣٢.

<sup>(١٨)</sup> Andrae, op.cit, p. 93.

فلم يكن أمامهم من سبيل إلا القول إن محمداً قد أخذ معلوماته الدينية من مصادر يهودية ومسيحية. وهم حين يجدون اختلافاً بين معلومات الإسلام ومعلومات الديانتين السابقتين يردون ذلك إلى الجهل وعدم المعرفة الدقيقة بعلوم أهل الكتاب. وهنا يتهمون المصادر التي أخذ عنها النبي ﷺ بأنها مصادر غير موثوقة. وإلى جانب المصادر اليهودية والمسيحية فإن المستشرقين وقفوا عند المصادر العربية الجاهلية التي أخذ عنها النبي ﷺ بعض معلوماته وممارساته الدينية حسب زعمهم. ومن أبرز من أخذوا بهذا الرأي " بروكلمان " Carl Brockelmann الذي زعم أن النبي ﷺ أخذ الكثير من تعاليمه من المصادر العربية الجاهلية مثل : صلاة الجمعة ، وصوم عاشوراء.<sup>(١٩)</sup> ومن الأمور التي ذهب إليها " بروكلمان " أن المسلمين تأثروا باليهود بعد هجرتهم إلى المدينة فابتدعوا " صلاة الظهر " بسبب ذلك التأثير.<sup>(٢٠)</sup> أما المصادر الهندية والفارسية فقد ذهبت بعض المصادر الاستشراقية إلى أن النبي ﷺ أخذ منها معلوماته عن الإسراء والمعراج ، والجنة والنار ، والحدود ، والولدان ، والصراط.<sup>(٢١)</sup> ومن أشهر المصادر التي ذكرتها الدراسات الاستشراقية " الكنائس السورية " و " الرهبان السوريون ". وزعمت تلك الدراسات أن مظاهر " التقوى " و " البكاء " و " الخوف من الموت " و " يوم الحساب " مأخوذة جميعها من مصادر الكنائس السورية. لقد أرجع " تور أندري " عبادة " قيام الليل " و " التلاوة " إلى تأثير الكنائس السورية ، كما أنه أرجع فكرة " اليوم الآخر " الذي يعقب الموت إنما جاءت من تأثيرات الكنيسة النسطورية في فارس.<sup>(٢٢)</sup> ومن المصادر التوراتية زعم بعض المستشرقين أن القرآن الكريم أخذ عدداً من القصص مثل قصة هابيل وقايل ابني آدم ، وقصة التكوين ونشأة الكون المأخوذة من سفر التكوين ، وقصة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وما يتصل بها من ذبح وفداء ، وقصة يعقوب ويوسف والأسباط ، وقصة سليمان وبلقيس ملكة سبأ. أما المصادر المسيحية فأرجعوا إليها

<sup>(١٩)</sup> كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ، ١٩٨١م ، ص ٤٧ .

<sup>(٢٠)</sup> بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

<sup>(٢١)</sup> نفس المصدر ، ص ٤٧ .

<sup>(٢٢)</sup> Andrae, op.cit, p. 84.

قصة أصحاب الكهف ، وقصة مريم العذراء والمسيح عليه السلام ، وقصة زكريا وابنه يحيى الذي تسميه المصادر المسيحية " يوحنا المعمدان " John the Baptist. <sup>(٣٣)</sup> إن هذه النظرة الاستشراقية تجرد الإسلام من أصلته ، وتفرغه من مضامينه العقائدية والفكرية والثقافية. وهي لا تنم عن نزاهة علمية ، ولا تنبئ عن تجرد أكاديمي. وهي تساعد على تكوين صورة مشوهة للإسلام والمسلمين ، وللنبي محمد عليه السلام في الذهنية الغربية. يقول كارل بروكلمان في هذا الخصوص : " كان محمد يعزى نفسه بالأنبياء السابقين الذين لم تكن مهمتهم مع أقوامهم أسهل من مهمته. وهكذا نجده في عهده الأول يكثر من الإشارة إلى قصص هؤلاء الأنبياء ، وإلى قصة موسى بخاصة ، وليس من شك في أن معرفته بإعادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود ، وحافلة بالأخطاء ، وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي ، ولكنه مدينٌ بذلك ديناً أكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بإنجيل الطفولة ، وبحديث أهل الكهف السبعة ، وحديث الإسكندر ، وغيرها من الموضوعات التي تتواتر في كتب العصر الوسيط ". <sup>(٣٤)</sup> وعن علاقة النبي والمسلمين باليهود في المدينة عقب الهجرة يقول كارل بروكلمان : " وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود. وأغلب الظن أنه كان يرجو ، عقب وصوله إلى المدينة ، أن يدخل اليهود في دينه. وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي ". <sup>(٣٥)</sup> ويمضي بروكلمان في وصف تطور العلاقة بين المسلمين واليهود حيث يقول : " ولم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود ، فالواقع أنهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية ، كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية وفي حدة الإدراك - فالفجوات التي تكشف عنها علمه بالعهد القديم ، والتي كان قد تركها عارية ، في السور المكينة ، لم يعد من الممكن أن تظل خافية عليهم ، ولكن إشارتهم الساخرة إلى هذه الفجوات كانت أعجز من أن تززع إيمانه بصحة ما يوحى إليه. بل إن معارضة اليهود لتعاليمه حملته على أن يستنتج أنهم قد

<sup>(٣٣)</sup> بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

<sup>(٣٤)</sup> نفس المصدر ، ص ٣٩ .

<sup>(٣٥)</sup> نفس المصدر ، ص ٤٦ .

ضلّوا عن طريق الإيمان الصحيح ، وأنهم حرّفوا الكتاب المقدّس الذي اعتقد هو نفسه بأنه منزل من عند الله<sup>(٢٦)</sup>. ويمضي بروكلمان واصفاً العلاقة بين المسلمين واليهود بعد تدهورها مبيناً - حسب زعمه - أنّ ذلك الخلاف ترتّب عليه أمور عمليّة حيث بدأ النبي ﷺ يؤكّد على الطابع العربي القومي الذي بدأ يطبع دينه بعد ذلك؛ " فبعد أن قلّد اليهود في صوم عاشوراء أضاف إليه صوم رمضان<sup>(٢٧)</sup> ويتساءل بروكلمان عن المصدر الذي أخذ منه النبي ﷺ عبادة الصوم ، ويتردد بين إحدى الفرق الغنوسيّة وبين المانيين " أتباع المانويّة " كما أنه يحاول ربط عبادة الصوم الإسلاميّة هذه بديانة " الحرّانيين " في العراق ، وهم الذين يصومون شهر آذار تمجيداً للقمر ، ولكن بروكلمان يعود فيقول إنّ النبيّ لم يكن يعرف شيئاً عن هؤلاء الحرّانيين<sup>(٢٨)</sup>. وفي ذات السياق يقول إجناس جولدزيهر : " ومن المسلمّ به من الجميع أنّ العقيدة الإسلاميّة في صورتها النهائية قامت على خمس قواعد وأركان أساسية ، ترجع في خطوطها الأولى - من شعائريّة وإنسانيّة - إلى العصر المكّي ، وإن كانت لم تأخذ نظامها الثابت إلا في العصر المدني. وهذه القواعد هي :

- أولاً : الاعتقاد بالله الواحد ، والاعتراف بمحمدٍ رسول الله؛
- ثانياً : شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة ، وبما فيها من ركوع وسجود ، وبما يسبقها من وضوء ، تتصل بالمسيحية الشّرقية؛
- ثالثاً : الزكاة التي كانت في أول الأمر صدقات اختيارية ، ثم صارت بعد جزءاً معيناً أو ضريبةً محددةً تُنفق في سبيل تدبير حاجات المجموع؛
- رابعاً : الصوم الذي جُعِلَ أولاً في اليوم العاشر من الشهر الأول ، أي عاشوراء ، محاكاةً للصوم اليهودي الأكبر ، ثم نُقِلَ بعدئذ إلى شهر رمضان؛
- خامساً : الحج إلى المعبد الوطني العربي القديم في مكة ، أي إلى الكعبة بيت الله. وهذا الركن الأخير احتفظ به محمد عن الوثنية ، لكنّه جعله متّفقاً والتوحيد ، وعدل معناه

(٢٦) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلاميّة ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٢٧) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلاميّة ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٢٨) نفس المصدر .

” مسترشداً في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية “.<sup>(٢٩)</sup> ويمضي ” جولدزهر “ قائلاً :  
 ” وكذلك بعض عناصر القرآن المسيحية نعرف أنها وصلت إلى محمد ﷺ عن طريق  
 التقاليد أو الروايات المتواترة المحرّفة ، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة ، كما  
 ينضم إلى هذا وذاك شئ من الغنوصية الشرقية “.<sup>(٣٠)</sup> ويتمادى المستشرق المجري في  
 محاولته إرجاع الكثير من عقائد الإسلام وتعاليمه إلى مصادر غنوصية مرقونية ،  
 وأفكار مسيحية صادرة عن بعض القديسين المسيحيين الشرقيين من أمثال القديس  
 ” كليماندس “ ، وأفكار صادرة عن النحلة البارسية الزرادشتية.<sup>(٣١)</sup> ومن أبرز الأفكار  
 التي ذهب إليها ” تور أندري “ أن فكرة اليوم الآخر التي تعقب الموت مباشرة هي  
 فكرة أخذها محمد ﷺ من الكنيسة النسطورية في بلاد فارس ، يقول أندري :

“ The characteristics which have been described so far are common to the Oriental churches in general. But in my opinion an especially important conception, which is peculiar to the Koran, makes it possible for us to decide more definitely where Mohammed got his most important suggestions. I refer to Mohammed’s doctrine that the soul sinks into complete unconsciousness after death, so that the Day of Judgment seems to follow immediately after death. At that time such an idea existed only in the Nestorian Church in Persia. Previously the Syrian church father Aphraates taught that the soul exists in a state of deep sleep between death and the judgment, but about 580, that is, about thirty years before Mohammed appeared as a prophet, Babi the Great, one of the most prominent theologians of the Nestorian Church, had again advanced the theory that the soul could not function without the body ”.<sup>(٣٢)</sup>

<sup>(٢٩)</sup> إجناس جولدزهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ص ١٧-١٨ .

<sup>(٣٠)</sup> إجناس جولدزهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٨ .

<sup>(٣١)</sup> نفس المصدر ، ص ١٩

<sup>(٣٢)</sup> Andrae, op.cit, p. 89.

ولعل ” أندري ” يقدم لنا نموذجاً حقيقياً لطريقة معالجة المستشرقين لمصادر محمد ﷺ التي اعتمد عليها بزعمهم؛ فهو يؤكد على المصادر اليهودية والنصرانية خاصة تلك القبائل العربية المتاخمة للفرس ، والتي كانت تدين بالنصرانية النسطورية بسبب التأثر ببلاد فارس ، ويرى أن قريشاً كانت لها علاقة بتلك القبائل ، ومن أهم نصوص ” أندري ” قوله :

“ It is not overbold to assume that Nestorian monks from the Arabian churches in Mesopotamia, or from Nejran in Yemen after the Persians had conquered this country in 597, in the course of their preaching tours among their pagan countrymen, visited Hejaz, with whose capital city the Christian Arabs maintained a living contact. As a matter of fact, tradition tells of a Christian preacher named Quss ibn Sa'ida, who is said to have been Bishop of Nejran, but who belonged to a tribe living at Hira in Mesopotamia, whom Mohammed is supposed to have heard preaching in the market at Ukaz ”.<sup>(٣٣)</sup>

وهنا نلاحظ أن هذا المستشرق يستخرج هذه المعلومة من ” الأغاني ”!! حيث من يجعل من هذا الكتاب المصدر الأول والأساسي لهذه المعلومة المهمة ، ولهذا الحكم الخطير على الإسلام ، وعلى نبي الإسلام ، وعلى المصادر التي أخذ منها نبي الإسلام. نعم إن ” أندري ” رجع بعد ” الأغاني ” في هذه المعلومات لأبي نعيم صاحب دلائل النبوة ، وللمسعودي ، ولكنه وضع ” الأغاني ” في المرتبة الأولى.<sup>(٣٤)</sup>

(٣) نقف عند النقطة الثالثة التي تميّز تعامل المستشرقين مع السيرة النبوية ، وهي ذات اتصال وثيق بالنقطة السابقة ، ومفادها أنّ الكثيرين منهم يركّزون على بعض الشخصيات الوارد ذكرها في السيرة النبوية - ولو جاء ورودها وذكرها بصورة

<sup>(٣٣)</sup> Ibid, p. 92.

<sup>(٣٤)</sup> Ibid, p. 92.

عرضية - فمن أولئك الراهب النصراني "بحيرى"، ومنهم الراهب "نسطورا"<sup>(٣٥)</sup>. ويأتي ذكر هذين الراهبين في معرض الحديث عن الرحلتين الشاميتين اللتين قام بهما محمد ﷺ في مقتبل حياته، مرّة مع عمه أبي طالب، وكان حينها طفلاً في الثانية عشرة من عمره، ومرّة مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد، وكان حينها شاباً في الخامسة والعشرين من عمره. وفي ما يتصل بشأن الراهب "بحيرى" فإن كتب السيرة المختلفة أفاضت في ذكر خبره مع رسول الله ﷺ الذي كان يومها في رفقة عمه أبي طالب.<sup>(٣٦)</sup> وتخبّرنا السيرة أنّ ذلك الراهب علم من شأن محمد ما علم، وأخبر عمه بذلك، وطلب منه أن يردّه إلى مكة خوفاً عليه من خطر اليهود. غير أنّ الثابت تاريخياً أنّ النبي ﷺ لم يكن حينها في سنّ تسمح له باستيعاب علم ومعرفة من هذا الراهب. ويقف البعض عند حقيقة مفادها أنّ أباطال عندما اشتدّ الصراع بين قريش من جهة وبين ابن أخيه محمد من جهة أخرى لم يُشِرْ إلى هذه القصة لا من قريب ولا من بعيد، ولعلّ ذلك يقدر في هذه القصة، ويبعث على الشكّ فيها، ومع ذلك فالمستشرقون يجومون حولها، ويجاولون تحميلها ما لا تحتمل من القول إنّ محمداً أخذ من ذلك الراهب علماً، وتتلّمذ على يديه، ومن خلال تلك التلمذة دخلت المؤثرات النصرانية على الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ. وحينما قدّمت إحدى الدراسات الأوربيات بحثاً عن السيرة النبوية في ندوة "منغانا" Mingana الرابعة التي انعقدت بجامعة بيرمنغهام Birmingham بالملكة المتحدة في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠١م، وحاولت تلك الباحثة أثناء تقديمها لبحثها التضخيم من قصة الراهب "بحيرى"، والتأكيد على دوره المزعوم أتباعاً لطريقة قدماء المستشرقين، عند ذلك تصدّى لها أحد كبار الأساتذة من الجامعة الكاثوليكية في واشنطن، وهو البروفيسور "سيدني غريفث"، وقلل من أهميّة قصة الراهب "بحيرى"، وانتقد بصورة قاطعة أولئك النفر من الباحثين الذين يضحّمون من مثل تلك الروايات. وهذا يدلنا على أنّ نفرًا من المستشرقين بدأوا ينتقدون الكثير من المقولات غير المؤسسة التي روج لها

<sup>(٣٥)</sup> William Muir, The Life of Mohammad, T. H. Weir, John Grant, 1912, Edinburgh, p. 21.

<sup>(٣٦)</sup> Ibid, p. 11.

أسلافهم من دهاقنة المستشرقين السابقين. ويتضح هذا المنحى الذي يؤكد على أهمية المصادر النصرانية عند "أندري" حيث يقول :

" On the other hand, we have seen that the Prophet was not only acquainted with the main outlines of the Christian doctrines of judgment, retribution, and good works, but also that he reproduced in detail the interpretations of these doctrines which were prevalent in the churches of the Orient, and at times he even employs a style and expressions which must have had a Christian origin ".<sup>(٣٧)</sup>

(٤) من أبرز القضايا التي روج لها المستشرقون قصة "الغرائق" ، وفي حقيقة الأمر إن هذه القصة وردت في كثير من المصادر الإسلامية بأسانيد متصلة ، وأصل هذه القصة موجود في أوثق المصادر الإسلامية؛ فقد ذكر البخاري "سجود المسلمين والمشركين عقب سماعهم لتلاوة سورة النجم". إن قصة "الغرائق" من القصص التي لا تقوم على أساس علمي ، وهي تناقض مفهوم "العصمة" النبوية؛ فالنبي المعصوم الذي لا يمكن له أن يقبل ما يتنافى مع التوحيد الخالص لا يمكن أن يصدر عنه ما يعصف بعقيدة التوحيد من أساسها. لقد رفض الكثيرون من العلماء والمفسرين المسلمين هذه القصة ، ومنهم قلة قبلت هذه القصة ، ولسنا في معرض تفصيل ذلك. والذي يهمنا عرض آراء بعض المستشرقين حولها ، ومحاولة الوقوف عند تفسيرهم وشرحهم لهذه القصة.<sup>(٣٨)</sup> إن المستشرقين لا يترددون في البحث عن النواقص والعيوب التي ربما خلقوها خلقاً ، وأنشأوها إنشاءً ، وهم هنا يجدون أمامهم مقولة ميسرة قدمها لهم أصحاب الروايات والأسانيد على طبق من ذهب - كما يقولون - ونشير هنا إلى موقف أحد أبرز المستشرقين وهو وليم مونتغمري واط الذي أكد على وقوع هذه

<sup>(٣٧)</sup> Andrae, op.cit, p. 91.

<sup>(٣٨)</sup> انظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م ، ج ١٧ ، ص ٣٠٥. وانظر الخطيب الشربيني ، تفسير السراج المنير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت. ج ٢ ، ص ٤٤٢. وانظر نظام الدين النيسابوري ، غرائب القرآن ورجائب الفرقان ، تحقيق الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م ، الطبعة الأولى ، ج ٥ ، ص ٩٠.



القصة' وهو يرى أن هذه القصة كانت تستدعيها ظروف مرحلية حيث كان النبي ﷺ يريد أن يتألف أهل الطائف ويثرب والنواحي المجاورة لمكة بتمجيده لأصنامهم التي كانوا يعبدونها وهي اللات والعزى ومناة ، غير أن الظروف الموضوعية - كما يقول واط - جعلته يغيّر من نهجه ذلك ، وينسخ تلك الآيات الشيطانية<sup>(٣٩)</sup>. ويلاحظ الدكتور جعفر شيخ إدريس ملاحظة دقيقة حول منهج مونتغمري واط ، وحول حياده المزعوم الذي حدده لنفسه في كتابه الموسوم "محمد في مكة" حيث أكد على أنه سيكون محايداً وموضوعياً؛ فلن ينسب القرآن إلى محمد ، ولن ينسبه إلى الله تعالى ؛ لأنه لا يؤمن بذلك ، ولكنه سيكتفي بالقول : يقول القرآن ، بدلا من يقول محمد أو يقول الله. ولكنه عندما زعم بأن محمداً عاد بعد فترة ونسخ الآيات الشيطانية فهو يكون بذلك قد نسف حياده المزعوم بوعي أو بدون وعي!! ولكن من الإنصاف أن نذكر أن آخر الكتابات التي كتبها مونتغمري واط عن الإسلام تدل على تفهم كبير ، وعلى اعتدال واضح<sup>(٤٠)</sup>، ولعل مراد ذلك إلى المجهود الكبير الذي بذله الدارسون المسلمون في نقد "الظاهرة الاستشراقية" بالإضافة إلى عوامل أخرى عديدة يصعب سردها وعرضها في مثل هذا المقال". وهنا ينبغي لنا أن نقف لائمين للروايات الإسلامية التي ساقها الكثيرون من المفسرين ، وهي روايات مطعون فيها ، ولكن أولئك المفسرين لم يبذلوا جهداً في تحقيق تلك الأسانيد ، ولم يقوموا بنقدها ، وجرح رواياتها ، ومن هنا تُنقلت تلك الروايات الواهية بين الدارسين المسلمين ، ومنهم أخذها المستشرقون الذين لا علم لهم بالروايات الصحيحة من السقيمة ، وليسوا من أهل الجرح والتعديل ، وليس بمقدورهم دراسة الروايات ، و"التمييز بين المقبول والمردود منها". لقد وجدنا عدداً من كبار المفسرين ينساق خلف قصة الغرانيق ، ومن أبرزهم السيوطي<sup>(٤١)</sup> ،

(٣٩) W. Montgomery Watt, Muhammed Prophet and Statesman, Oxford University Press, 1961, p. 62.

(٤٠) انظر د. محمد وقيع الله أحمد ، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة (عرض ونقد) ، هيئة الأعمال الفكرية ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨م ، ص ٣٠٨ وما بعدها.

(٤١) السيوطي ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ج ٥ ، ص ٣١٩.

وابن عطية الأندلسي<sup>(٤٢)</sup> ، وأبو إسحاق الثعلبي النيسابوري<sup>(٤٣)</sup> ، والبيضاوي<sup>(٤٤)</sup> ، وغيرهم .“ وهناك من رفضها رفضاً واضحاً وقاطعاً؛ لأنه رآها تتعارض مع ثوابت الدين والعقيدة ، ومن أبرز هؤلاء الفخر الرازي<sup>(٤٥)</sup> ، ومحمد الطاهر بن عاشور<sup>(٤٦)</sup> الذي بين حقيقة هذه القصة المخترعة والمكذوبة بما لا مزيد عليه. وهنا بالطبع لا نستطيع أن نتجاهل كتاب العلامة محمد ناصر الدين الألباني الذي ناقش فيه قصة الغرائق ورفضها ، وكتابه بعنوان : ” نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق “<sup>(٤٧)</sup>

(٥) من الأمور التي يقف عندها الغربيون عامة ، والمستشرقون خاصة قضية تعدد أزواج النبي ﷺ. لقد اعتبرها الغربيون من الأمور الغريبة والمستنكرة بحسب أعرافهم وتقاليدهم ، وينسى أولئك أو يتناسون أن المرء إنما يحاكم وفق الأعراف والتقاليد التي تسود في مجتمعه ، وينسون أو يتناسون أن الكثيرين من أنبياء الكتب القديمة قد تعددت أزواجهم ، بل إن من أنبياء بني إسرائيل من تعددت أزواجهم المئات ، ولم نسمع أنهم كالوا لهم اللوم والتعنيف والتشريب مثل الذي يفعلونه مع نبي الإسلام. وكان المستشرقين لا يعلمون أن محمداً ﷺ ظل وفاقاً لزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، والتي كانت تكبره بخمس عشرة سنة. وأنه بعد وفاتها تزوج من امرأة كبيرة في السن هي سودة بنت زمعة ، وهي من أرامل المسلمين. ثم تواصلت زيجاته التي كانت لا تخلو واحدة منها من قيم فاضلة تهدف إلى تقوية الروابط الأخوية بينه وبين بعض أصحابه ، وبينه وبين كثير من القبائل التي تزوج منها. ويثير المستشرقون كثيراً

(٤٢) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبدالسلام عبدالشافى محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٩٣م ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(٤٣) أبو إسحاق الثعلبي ، الكشف والبيان ، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ج ٧ ، ص ٢٩ .

(٤٤) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .

(٤٥) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج ٧ ، ص ١١٦ .

(٤٦) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ج ١٧ ، ص ٣٠٥ .

(٤٧) محمد ناصر الدين الألباني ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت - دمشق - عمان ، ١٩٦٦م ، ص ١٠ وما بعدها .

من الضجيج حول زواج النبي ﷺ من عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها ، ويقولون إنها كانت مجرد طفلة حينما تزوجها رسول الله ﷺ. وحسبنا أن نقول إن الأعراف تختلف من زمنٍ إلى زمنٍ ، ومن مكانٍ إلى مكان. ولعل الكثير من المجتمعات العربية والمسلمة في زمننا هذا لا تكاد تجد غضاضةً في مثل هذه الزيجة. ويقفون بصورة خاصة عند زواجه النبي ﷺ من بنت عمته زينب بنت جحش بعد أن طلبت الطلاق من زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. ولقد جاء هذا الزواج بأمر من الله سبحانه وتعالى بغرض إبطال عادة جاهلية كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك. وبرغم الوضوح الكامل في شأن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش إلا أن الكثيرين من المستشرقين نسجوا حول ذلك الزواج مجموعة من القصص الخيالية التي لا تليق بالنبي ﷺ ، ولا تتفق مع شخصيته وأخلاقه العظيمة التي مدحها الله تعالى في القرآن الكريم. (٤٨) ومن الأمور المتصلة بزواجه النبي ﷺ من خديجة نجد أن المستشرق " أندري " عند رواية نسبها إلى " ابن سعد " ، ومفادها أن خديجة جعلت أباه يشرب الخمر حتى يخرج عن وعيه لعلمها بأنه لن يوافق على زواجها من محمد ﷺ. يقول " أندري " ما نصه :

" It is said that Khadijah made her father drunk with wine, since she did not expect to gain his consent in any other way. When he became sober he found that he had already been clothed in the garment with which, according to ancient custom, the son-in-law honoured his father-in-law at the wedding ". (٤٩)

والذي يلفت أنظارنا هنا أن " أندري " اعتمد على " ابن سعد " في هذه الرواية ، وبالفعل فإن ابن سعد أوردها في " الطبقات الكبرى " ، والغريب أنه أوردها في المرتبة الثانية ، وفي المرتبة الأولى ساق " ابن سعد " الرواية التي تقول إن عمها " عمرو بن

(٤٨) Watt, Muhammad Prophet and statesman, p.158.

(٤٩) Andrae, op.cit, p.41.

أسد“ هو الذي تولّى تزويجها من محمد ﷺ. (٥٠) وهنا نتساءل لماذا لم يورد “أندري” الرواية الأولى فقط ، ويترك الثانية؟ أو لماذا لم يذكر الروائتين ، وكلاهما نص عليها “ابن سعد” في طبقاته؟ وهنا تتجلى الانتقائية الواضحة التي يسير عليها الكثيرون من المستشرقين في تعاملهم مع أحداث السيرة النبوية. (٥١)

(٦) يحاول بعض المستشرقين معاملة الوحي والغيبيات النبوية والدينية بذات الطريقة التي يتعاملون بها مع الموضوعات الدنيوية العادية ، والظواهر الاجتماعية التي تخضع عادةً لمناهج العلوم الاجتماعية والطبيعية. إنّ المستشرقين يتعاملون مع الإسلام ، ومع غيره من الأديان باعتباره ظاهرة اجتماعية نشأت في الأرض ، وأنّ الدين - عندهم - من منتجات الفكر الإنساني ، وأنّ فكرة الإله من صنع العقل الجمعي البشري. سار الغربيون على هذا المنوال ، وأصبحت العلوم والدراسات المتصلة بالأديان ، وتاريخها ، ومقارناتها ، واجتماعها ، وفلسفتها ، وسيكولوجيتها ، أصبحت جميع تلك العلوم تدل على المنحى المادي الذي سارت عليه الدراسات الغربية ذات الصلة بالدين. وفي هذه النقطة نحاول فهم التناقض الاستشراقي حيال القرآن والوحي والنبوة. إنّ “الوحي” عند المستشرقين هو ضرب من “الهديان” و “العصاب” و “الاضطراب” النفسي ، وهو بعبارة واضحة “علة عقلية وعصبية” يعاني منها صاحبها. وها هو المستشرق “نولدكه” Theodor Noldeke يسميه “نوبات عينية من الانفعال”. (٥٢) ويصرّح المستشرق المجري سالف الذكر “إجناس جولدزيهر” بأنّ ظاهرة الوحي المحمدي إنما هي من قبيل الظاهرة “الباثولوجية” المرضية ، وهي أمراض معينة تصيب الرجال الذين هم فوق مستوى البشر دون سواهم على حسب قول جولدزيهر. (٥٣) والغريب أنهم يصفون ظاهرة “الوحي” بأنها

(٥٠) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٥١) Andrae, op.cit, p. 41.

(٥٢) انظر تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، تعديل فريديريش شفالي ، دار نشر جورج ألز ، هيلدسهايم - زوريخ - نيويورك ، بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش - فيسبادن ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٤ .

(٥٣) انظر إجناس جولدزيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ص ١٧-١٨ .

مرض ، بينما يصفون المنتج الذي نتج عنها بأنه ” تأليف “!! والمعروف أنّ حالات الإبداع يصحبها في العادة نوع من التوتر والعصبية ، وربما صاحبها شكل من أشكال الصداع والإرهاق النفسي والبدني. وإذا كانت هذه الأعراض تصيب المبدعين العاديين من بني البشر فمن باب أولى أن يكون التلقي عن عالم الغيب صعباً وشديداً على المتلقي؛ فالوحي ، والتلقي عن عالم الغيب ، والاتصال بعالم الملكوت السماوي مرحلة سامية من مراحل القوة النفسية والإبداعية التي يسمو إليها النبي وهو يتلقى الوحي السماوي. وطالما أنّ الوحي عندهم ظاهرة مرضية فكيف يصفون القرآن الذي بين أيديهم؟ إنه ظاهرة فريدة ، وهو يحتوي على عقائد ، وشرائع ، وأخلاق ، وعلوم ، ومعارف. إنّ محمداً ﷺ بما أوتي من ذكاء وبراعة وعبقريّة قام بتأليف هذا الكتاب؛ فهو نتاج طبيعي لعبقريّة محمد ﷺ. ولكننا نلاحظ الكثير من التناقض في مقولات المستشرقين؛ فالنبي الذي يتلقى الوحي يعاني من مجموعة أمراض عصابية ونفسية ، والوحي ظاهرة باثولوجية ، ولكن القرآن الكريم تحفة إبداعية تسمو على كل تحفة ، وهذا يعني أنّ ” الظاهرة العصابية المرضية “ تنتج إبداعاً منقطع النظير ، وهذا العمري من أظهر أنواع التناقض التي اتسم بها الكثيرون من أساطين الاستشراق. إنّ محمداً - على حد زعمهم - بما أوتي من ذكاء وبراعة وعبقريّة قد قام بتأليف هذا الكتاب؛ فهو نتاج طبيعي لهذه العبقريّة ، ولكنهم يصطدمون هنا بمجموعة من الحقائق التي يقفون أمامها عاجزين. إنّ القرآن الكريم يحتوي على مجموعة من العلوم والمعارف التي لا يمكن لبشر أن يعرفها خاصة وأنه تنزل في فترة لم تكن البشرية قد خطت فيها خطوات كبيرة في الكشوفات العلمية. ومن هنا فإنّ القول ببشريّة القرآن قول غير مسنود بالحجج العقلية المنطقية ، ويتصادم مع المعطيات الموجودة لدى العلماء المختصين في مختلف فنون المعرفة.

(٧) من السمات التي ميّزت النظرة الاستشراقية للسيرة النبوية أنها تتعامل مع المعجزات النبوية بطريقة الشك المطلق ، بل لعلها طريقة الرفض المطلق ، وتعتبرها نوعاً من المقولات الزائدة والملحقة بالسيرة النبوية في فترة لاحقة. ولعلّ من أبرز المعجزات التي رفضها المستشرقون ” حادثة شق الصدر “ و ” حادثة المعراج النبوي “ و ” حادثة

الإسراء“<sup>(٤٤)</sup> ونجد أن المستشرق الألماني كارل بروكلمان يُرجع قصة الإسراء والمعراج إلى مصادر فارسية ، ويربط بين هذه المعجزة وبين قصص الكهنة والعرفان الذين كانوا يحظون بمكانة مرموقة بين عرب الجاهلية.<sup>(٤٥)</sup> ولعل هذا الرفض الاستشراقي للمعجزات النبوية يأتي منسجماً تماماً مع الاتجاه المادي الذي يدرس السيرة النبوية باعتبارها سيرة مصلح اجتماعي ، ومن ثم فهم يتعاملون معها دون اعتبارٍ للجانب الغيبي الميتافيزيقي الذي هو لب الرسالة الدينية وجوهرها. ولعل الناظر في كتاب المستشرق السويدي ” تور أندري “ يلمس هذه النظرة التي تدرس النبوة الإسلامية باعتبارها ظاهرة اجتماعية نشأت في الواقع العربي ، ويلمس الطريقة المادية الصارمة التي يسير عليها المستشرق ” أندري “ في دراسته وتعامله مع أحداث السيرة النبوية ومعطياتها. ولم يقتصر استبعاد المعجزات على المدرسة الاستشراقية بل وجدنا أن مجموعة من المفكرين المسلمين في القرنين المنصرمين التاسع عشر والعشرين الميلاديين يتأثرون بصورة كبيرة بمؤثرات العلم الحديث ، ويحسبون أن معطيات العلم الحديث تتعارض مع المعجزات النبوية؛ ومن ثم وجدناهم يحاولون إيجاد تفسيرات وتأويلات علمية حديثة يفسرون بها المعجزات.<sup>(٤٦)</sup> ولعل من أشهر الذين ساروا على هذه الطريقة الإمام محمد عبده ، والشيخ محمد الخضري في طريقته الأولى لدراسة السيرة غير أنه عدل عن هذا الاتجاه ، والدكتور أحمد حسين هيكل في دراسته المشهورة عن السيرة النبوية في كتابه ” حياة محمد “.<sup>(٤٧)</sup>

(٨) هناك مسلمة استشراقية لا يتخلّى عنها المستشرقون ، ومن أبرز تلك المسلمة أن محمداً كان قارئاً وكاتباً<sup>(٤٨)</sup> ، وهم يصرون على ذلك إصراراً شديداً لأن القول بأميته يدخلهم في شئ من التناقض العقلي إذ كيف أَلَف القرآن وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب؟! وكيف قرأ في كتب أصحاب الكتاب الأول وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب!!؟

(٤٤) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٤٥) نفسه ، ص ٤٧ .

(٤٦) Andrae, op.cit, p.84.

(٤٧) انظر محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، ص ٧٣ .

(٤٨) Watt, Muhammad Prophet, p.40.

وهم يفسرون كلمة " الأمي " وكلمة " الأميين " بأن المقصود بهما " الأمي " و " الأميين " على التوالي. والقرآن يقصد بهاتين الكلمتين الأمم من غير اليهود ، وترادفهما كلمتا " غوي " و " غويم " وهما الكلمتان اللتان يستعملهما اليهود لوصف الشعوب الأخرى ، ويستعملون أحياناً لفظ " الأغيار " ، وهي الكلمة التي تعادل الكلمة الأجنبية Gentiles<sup>(٩٩)</sup> والكلام حول أمية النبي ﷺ يطول ، وكتب فيه الكثيرون من علماء المسلمين في القديم والحديث ، ولسنا هنا في مقام التفصيل فيه ، ولكن يكفي القول إن المستشرقين تمسكوا بالقول إن محمداً ﷺ كان قارئاً و كاتباً ، وتعصّبوا لهذه المقولة ، ولهذا الرأي ، حاجة في أنفسهم.<sup>(١٠٠)</sup>

(٩) يتسم الطرح الاستشراقي في دراسة السيرة النبوية بما يمكننا أن نسميه " الانتقائية الظاهرة " في التعامل مع الروايات المنقولة؛ فربما رفضوا الرواية الشائعة القوية المتواترة التي قبلها أهل الأسانيد بدون أدنى مبرر علمي ، ودون منهجية سليمة تبرر ذلك الرفض. وفي الجانب الآخر ربما نجدهم يقبلون الرواية المرجوحة الضعيفة التي ينقدها ويجرحها العلماء الراسخون في قواعد الرواية والأسانيد. ومن أمثلة ذلك أن بعضهم أخذ برواية مرجوحة تقول إن اسم النبي ﷺ " قثم "؛ فقد أورد صاحب السيرة الحلبية رواية تقول إن عبدالمطلب سمى حفيده بهذا الاسم ، ولكنه عدل عنه بعد أيام قليلة وسماه محمداً.<sup>(١٠١)</sup> وهنا نجد أحد المستشرقين وهو " درمنغهم " يأخذ تلك الرواية ويقول إن اسم النبي هو " قثم " أو Zobath ، وأن اسم " محمد " استخدم في فترة لاحقة.<sup>(١٠٢)</sup> ونلاحظ أن هذا المستشرق حينما انتقى ما جاء في السيرة الحلبية لم يأخذ بقول صاحب السيرة الحلبية كاملاً ، وإنما انتقى منه ما يريده بصورة مبتورة؛ فصاحب السيرة الحلبية ذكر بالفعل أن جده أسماه قثماً ثم عدل عن ذلك وأسماه محمداً ، والمستشرق يذكر الحقيقة الأولى ، ويتجاهل الحقيقة الثانية.

(٩٩) Watt, Muhammad Prophet, op.cit, p.193.

(١٠٠) Ibid, p.40.

(١٠١) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(١٠٢) Emile Dermenghem, The Life of Mahomet, Translated by Arabella Yorke, London, 1930, p. pxii.

(١٠) يتَّسم الطرحُ الاستشراقي بأنه يلجأً للخيال الجامح حين يتعامل مع السيرة النبوية؛ فمن ذلك أن "واشنطن إرفنج" يقول: إن أكثر من مائتي فتاة من فتيات مكة انتحرن عندما تزوج عبدالله والد محمد من آمنة بنت وهب؛ وذلك لأنهن كن يردن الزواج منه.<sup>(١٣)</sup> ويبدو أن الكاتب قد جنح مع خياله، أو أنه استمدَّ معلوماته هذه من مصادر غير متاحة لنا. ويمضي "واشنطن إرفنج" مع خياله الجامح فيحدثنا عن أن محمداً نشأ وتربى في بيت سادن الكعبة الأمر الذي أثر تأثيراً كبيراً وملحوظاً على وعيه الديني. وهو يشير إلى الذكاء الخارق الذي كان يتمتع به النبي ﷺ، وأنه كان يمتاز بروح التساؤل المستمر والدائم حيث كان دائم السؤال حول العديد من القضايا الدينية، وكان يكثر من سؤاله للحجاج العرب القادمين إلى مكة في مواسم الحج. ولعل مثل هذا الكلام الذي يسوقه لنا "إرفنج" يدل على النوايا التي تقف خلفه؛ فكأن المستشرق يريد القول إن محمداً ﷺ بعبقريته الخارقة، وبذكائه المتوقد، وبسؤاله المتكرر قد تمكن من جمع معلومات رسالته ودينه الجديد الذي خرج به على الناس.

(١١) إن هذه النقطة تتصل بسابقتها؛ فالمستشرقون عندما يتعاملون مع الإسلام يتعاملون بنوع من التعالي وعدم الجدية. إن المستشرق يتحدث عن كل شيء في الإسلام؛ في العقيدة، والشريعة، والفقه، والحديث، والتاريخ، والقرآن، والتفسير. نعم إننا نجد بعضهم يميل إلى نوع من أنواع الدراسات الإسلامية؛ فشاخت عُرف بتخصصه في مجال الفقه، وماسينيون عُرف بتدقيقه في مجالات التصوف الإسلامي خاصة تلك الدراسات المتصلة بالحلاج، وبرنارد لويس عُرف عنه تبحره في الدراسات الفاطمية الإسماعيلية. غير أن ذلك لا ينفي أن الكثيرين من المستشرقين يرون أنهم قادرون على الحديث والكتابة في كل شأن من شؤون الإسلام، وفي كل فنٍّ من فنونه. ومن هنا نلاحظ مثل هذه المبالغة التي وجدناها عند "إرفنج" التي ربما يقصد منها الطرافة والمتعة التي يريد أن يسوقها لقرائه من الغربيين الذين يرون في الشرق مصدراً لكل ما هو طريف وعجيب وشائق. وبسبب عدم الجدية هذه نجدهم يعتمدون في دراستهم

(١٣) Washington Irving, Mahomet and His successors, Belford, Clarke, 1849, p. 26.



للأمور الجادة في الإسلام على مجموعة من المصادر والمراجع التي لا تتسم بالجدية المطلوبة؛ فنحن نجد الكثيرين منهم يعتمدون على كتاب ” ألف ليلة وليلة “ ، وعلى كتاب ” الأغاني “ في الدراسات التاريخية الجادة. ونظرة واحدة متفحّصة في الإحالات المرجعية لكتاب ” تور أندري “ تؤكد لنا هذا الرأي الذي أخذنا به.<sup>(٦٤)</sup>

(١٢) هناك بعض الدارسين من المستشرقين الذين يعترفون برسالة محمد ﷺ ونبوّته ، ويقولون إنه نبيّ خاصّ بالعرب وحدهم؛ فهو عند هؤلاء نبيّ ” الأميين “ أو ” الأميين “ أو ” الجوييم “ Gentiles<sup>(٦٥)</sup> ولعل من أطرف الآراء التي ذهب إليها بعض المستشرقين ما انتهى إليه ” جورج بوش “ الجد ، وهو صاحب كتاب ” محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية السراسين “.<sup>(٦٦)</sup> والمؤلف من كبار أساتذة الدراسات اليهودية والعبرية ، ودراسات الكتاب المقدس ، في الجامعات الأمريكية. وهو من كبار القسس ورجال الدين المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية. وتكمن طرافة آراء ” جورج بوش “ في أنه يعترف بنبوة محمد ﷺ وبرسالته ، ولكنه يرى في ذلك عقوبة للكنيسة المسيحية التي انحرفت عن جادة الطريق ، وأن الله تعالى أراد معاقبتها بإرسال محمد ﷺ. ويرى ” جورج بوش “ أن الكنيسة حالما تعود إلى سابق عهدها ، وترجع عن الانحراف الذي أصابها فإن المسلمين عند ذلك سوف يدخلون في الديانة المسيحية.<sup>(٦٧)</sup> لقد وجد ” جورج بوش “ نفسه أمام معضلة كبيرة؛ إذ كيف يفسّر ما حدث في بلاد العرب من أحداث متسارعة دون أن يجد لها مبرر ديني؟ وكيف يتأتى له أن يفسّر ما وصل إليه المسلمون في ثمانين عاماً فقط من الاتساع وهو ما لم تستطع أن تصل إليه روما إلا في حوالي ثمانمائة سنة.<sup>(٦٨)</sup>

<sup>(٦٤)</sup> Andrae, op,cit, p, 92.

<sup>(٦٥)</sup> [scripturesforamerica.net/html٢/jm٠٠٠٥.htm](http://scripturesforamerica.net/html٢/jm٠٠٠٥.htm)

<sup>(٦٦)</sup> جورج بوش ، محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية السراسين ، ترجمه وحققه وعلق عليه الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٥م ، ص ٣٠٤.

<sup>(٦٧)</sup> نفس المصدر ، ص ٣٠٧.

<sup>(٦٨)</sup> نفس المصدر ، ص ٤١٦.

<sup>(٦٩)</sup> نفس المصدر ، ص ٤١٦.

يرى ” جورج بوش “ أن مثل هذا الحدث الكبير الذي شهدته بلاد العرب لا يمكن تفسيره دون ربطه بالعناية الإلهية.<sup>(٧٠)</sup> وهو يؤكد على ” العناية الإلهية “ عندما يحاول تفسير سبب تراجع القرشيين عن محاصرة المدينة النبوية في موقعة أحد بعد أن كادوا يقضون على المسلمين قضاءً كاملاً.<sup>(٧١)</sup> وهو يذهب إلى ذات التفسير حينما يدرس أسباب تراجع المشركين عن حصار ” يثرب “ في غزوة ” الخندق “؛ فبعد أن كاد القرشيون يقضون على الدولة الوليدة إذا بهم يعودون أدراجهم إلى بلدانهم دون سبب منطقي مقنع.<sup>(٧٢)</sup> ويخلص ” جورج بوش “ من ذلك إلى أن ” العناية الإلهية “ كانت تقف خلف محمد ﷺ وأصحابه وذلك للقيام بدور مرسوم لهم وفق الإرادة الربانية.<sup>(٧٣)</sup> ومن الطريف جداً أن ” جورج بوش “ يحاول أن يصحح للمسلمين بعض المعلومات التي يراها خاطئةً حول البشارات الواردة في الكتاب المقدس عن النبي محمد ﷺ. يعتمد الكثيرون من الدارسين المسلمين على ما جاء في سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين حيث يقول : ” وهذه هي البركة التي بارك بها موسى - رجلُ الله - بني إسرائيل قبل موته ، فقال : أقبل الربُّ من سيناء ، وأشرق لهم من جبلٍ سعير ، وتجلَّى من جبل فاران ، وأتى من رُبي القدس وعن يمينه نارٌ مشتعلةٌ. أحبُّ أسباط شعبه وبارك جميع أتقيائه الساجدين عند قدميه يتقبلون كلماته. أمرنا موسى بالشريعة ميراثاً لبني يعقوب. وكان ملكاً في يشورون حين اجتمع رؤساء الشعب ، رؤساء أسباط إسرائيل جميعاً “.<sup>(٧٤)</sup> يشير الكثيرون من الدارسين المسلمين إلى أن هذا النص المذكور في الكتاب المقدس يتحث عن الديانات السماوية الثلاث ، وعن الأنبياء المرتبطين بها؛ فسيناء تشير إلى موسى ﷺ ، وجبل سعير يشير إلى عيسى ابن مريم ﷺ ، وجبل فاران يشير إلى محمد ﷺ. يذهب جورج بوش إلى القول إن الإشارة إلى مبعث محمد ﷺ ليست في هذه المقولة التوراتية ، وهو يسخر من المعلومات

(٧٠) جورج بوش ، محمد ﷺ ، مصدر سابق ، ص ٤١٦ .

(٧١) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٤١٦ .

(٧٤) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، سفر التثنية ، الإصحاح ٣٣ .

الجغرافية ” العرجاء “ عند علماء المسلمين. وفي حقيقة الأمر لا يستطيع الباحث المحقق أن يؤكد بالضبط على مواقع هذه الأماكن؛ ومن ثم فإن القطع بمواقع هذه الجبال ليس من العلمية في شيء. واللافت للنظر أن ” جورج بوش “ يؤكد على أن الكتاب المقدس قد تنبأ ، وبشّر بمبعث محمد ﷺ ، ولكن ذلك جاء في بعض الرؤى المشهورة في الكتاب المقدس ، وبالأخص رؤيا ” النبي دانيال “ في العهد القديم ، ورؤيا ” يوحنا اللاهوتي “ في العهد الجديد.<sup>(٧٥)</sup> ولسنا في معرض الدراسة التفصيلية لهذه الرؤى ، ولكننا نهتم فقط بهذه المعالجة المتميزة للمستشرق ” جورج بوش “ لموضوع البشارة التوراتية والبشارة الإنجيلية بمبعث النبي محمد ﷺ. ونلاحظ حينها نقف مع رؤيا النبي دانيال التي تحدث عنها ” العهد القديم “ تذكر رؤيا الملك ” ربعة بن نصر “ ، ونلاحظ الشبه الكبير بين رؤيا الملك ” نبوخذنصر “ التي حددها له وفسرها ” دانيال “ ، وبين رؤيا ” ربعة بن نصر “ التي حددها له وفسرها كل من ” شق “ و ” سطيح “ كما جاءت في كتب السيرة النبوية.<sup>(٧٦)</sup> وفي ظني أن الدراسة المقارنة لهذه الرؤى الواردة في الكتاب المقدس ، وتلك الواردة في كتب السيرة النبوية تعتبر من الأهمية بمكان بالنسبة للباحثين والدارسين في ” الأديان المقارنة “. ومن أهم الرؤى التي وقف عندها ” جورج بوش “ رؤيا ” يوحنا اللاهوتي “ في العهد الجديد من الكتاب المقدس والتي تقول : ” ونفخ الملاك الخامس في بوقه ، فرأيت نجماً سقط من السماء إلى الأرض فأعطي مفتاح بئر الهاوية. وفتح النجم بئر الهاوية ، فتصاعد منها دخان كأنه دخان أتون عظيم ، فأظلمت الشمس والجو من دخان البئر. وخرج من الدخان جراد غطى وجه الأرض ، فنال سلطاناً كسلطان عقارب الأرض... “<sup>(٧٧)</sup> ويرى ” جورج بوش “ أن النجم الذي سقط من السماء هو إشارة إلى بعثة محمد ﷺ. ومن الطريف أن بعض المصادر الإسلامية تشير إلى أن تفسير ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [النجم : ١] هو محمد ﷺ عند رجوعه من المعراج ، ويُنسب هذا القول إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وهناك قول آخر منسوب إلى جعفر الصادق نفسه وهو قوله : إن

(٧٥) جورج بوش ، محمد ﷺ ، مصدر سابق ، ص ٤٤٠ .

(٧٦) عبدالمالك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٧٧) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ، الإصحاح رقم ٩ .

النجم : قلب محمد ﷺ ، وإذا هوى : انقطع عن جميع ما سوى الله عز وجل<sup>(٧٨)</sup>. من الواضح أن هذه الآراء التي قال بها ” جورج بوش “ الجدل ليست جديدة كل الجدة؛ فلقد سبقه بها مستشرقون آخرون غير أنه امتاز بتفصيلها ، وبشرحها شرحاً مستفيضاً ، وبربطها بوضوح تام بمقولات الكتب المقدسة عند أهل الكتاب.

### خاتمة :

من خلال النقاط المذكورة التي عرضنا فيها بعض مقولات المستشرقين حول السيرة النبوية نخلص إلى أنهم قد تعاملوا مع سيرة رسول الله ﷺ منفصلين بالإرث العدائي ، وبالأحقاد التاريخية الدفينة التي يحملونها عن نبي الإسلام ، وبالصورة التي وضعها لهم أئمة الاستشراق القدماء الذين كانوا يتحركون من خلال الدوافع الدينية التبشيرية أكثر من اندفاعهم من بواعث علمية أكاديمية صرفة. غير أنه من الواضح أن الكثير من الروايات الاستشراقية التي روج لها أولئك المستشرقون لم تكن من صنع خيالهم – وإن كانوا يسيرون مع الخيال أحياناً كثيرة – بل جاءت كثير من تلك الروايات مسندةً في ثانياً كتب التراث الإسلامي التي اتخذت منهج عرض الرواية دون تمحيص علمي دقيق لها ، وهو الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه أمام كثير من الروايات غير الصحيحة لتجد طريقها إلى عقول الكثيرين من المسلمين؛ ومن ثمَّ تؤثر تأثيراً سالباً على فهمهم للإسلام ، ولنبيهم محمد ﷺ.

### المراجع العربية والمترجمة :

- (١) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، نقله إلى العربية كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ٢٠٠٣.
- (٢) نجيب العقيلي ، المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، الجزء الأول ، بدون تاريخ.
- (٣) جعفر شيخ إدريس ، منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد ﷺ ، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الجزء الأول ، ١٩٨٥.

<sup>(٧٨)</sup> انظر الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٦ ، ص ٢٥٥.

- (٤) أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين - تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- (٥) محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، بدون تاريخ .
- (٦) عياض اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، بدون تاريخ .
- (٧) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ .
- (٨) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- (٩) إجناس جولدزيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، بدون تاريخ
- (١٠) عبدالله الخريجي ، علم الاجتماع الديني ، الطبعة الثانية ، السعودية ، جدة ، ١٩٩٠ .
- (١١) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه فارس ومير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ، ١٩٨١ .
- (١٢) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ .
- (١٣) الخطيب الشربيني ، تفسير السراج المنير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
- (١٤) نظام الدين النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ .
- (١٥) محمد وقيع الله أحمد ، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة " عرض ونقد " ، هيئة الأعمال الفكرية ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ .
- (١٦) السيوطي ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- (١٧) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبدالسلام عبدالشافى محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٩٣ .
- (١٨) الثعلبي ، الكشف والبيان ، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- (١٩) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- (٢٠) الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

- (٢١) محمد ناصر الدين الألباني ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت - دمشق - عمان ، ١٩٦٦ .
- (٢٢) تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، تعديل فريدريش شفالي ، دار نشر جورج ألز ، هيلدهايم - زوريخ - نيويورك ، بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش - فيسبادن ، ٢٠٠٠ .
- (٢٣) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، بدون تاريخ .
- (٢٤) جورج بوش ، محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية السراسين ، ترجمه وحققه وعلق عليه الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٥ .
- (٢٥) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣
- (٢٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبدالرءوف سعد ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١١ .
- (٢٧) الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٢٨) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .

### المراجع الأجنبية :

- (1) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Oxford and Clarendon Press, 1953
- (2) Tor Andrae, Mohammed – The Man and His Faith, Translated by TheophilMenzel, London, George Allen and Unwin LTD – Ruskin House Museum Street, Second Impression, 1959
- (3) William Muir, The Life of Mohammad, T. H. Weir, John Grant, 1912, Edinburgh
- (4) W. Montgomery Watt, Muhammed Prophet and Statesman, Oxford University Press, 1961
- (5) Emile Dermenghem, The Life of Mahomet, Translated by Arabella Yorke, London, 1930
- (6) Washington Irving, Mahomet and His successors, Belford, Clarke, 1849

### المراجع الإلكترونية :

- (1) [scripturesforamerica.net/html2/jm0005.htm](http://scripturesforamerica.net/html2/jm0005.htm)